

قال الدكتور محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، إن بعض الناس يأخذ بعض الأحاديث النبوية من وجه واحد، كقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنى مَبَاهِ بكم الأمم يوم القيامة»، منوها بأنه حديث صحيح.

وأوضح «جمعة» خلال إحدى خطبه، وعنوانها: «عوامل القوة فى بناء الدول»، أن الكثرة المقصودة فيه هى الكثرة القوية المنتجة، التى تملك كلمتها وأمرها، وطعامها ودواءها وكساءها، أما إن خرجت عن ذلك، فكانت كثرة جاهلة أو عالة، تصبح تلك الكثرة التى قال عنها النبي، صلى الله عليه وسلم: «كثرة كغثاء السيل، لا تضر عدوا ولا تنفع صديقا»!

ورغم ذلك، فإن البعض يصر على كثرة الإنجاب بزعم أنهم يأتون «ورزقهم معهم»، بالقطع «لا حيلة فى الرزق»، لكن أولاً ثبت علمياً أن كثرة الإنجاب من أهم عوامل الوفاة المبكرة للمرأة، ثانياً نسبة المتسربين من التعليم -حسب الأرقام الصادرة عن الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء- تصل إلى نحو مليون و١٢٢ ألف طفل عام ٢٠١٨، متسرب أو غير ملتحق بالتعليم، وارتفع عدد الأفراد الأميين إلى ١٨ مليوناً و٤٣٤ ألف أمى.. والأمية وحدها كفيلة بهدم أى دولة عريقة.

فماذا يفعل الآباء بخمسة أطفال أو عشرة ينجبونهم دون أن تكون حالتهم الاقتصادية تسمح لهم بمستوى آدمى فى المسكن والطعام والملبس والتعليم بالقطع؟!

هؤلاء تراهم فى الريف يعملون فى الحقول بأجور تعود فى الآخر إلى رب الأسرة، وبعدما يصبحون فتياناً تراهم غرقى على شواطئ أوروبا أو محترفين فى عالم الجريمة.. وفى أحسن الأحوال ستجد هؤلاء من حملة المؤهلات المتوسطة، الذين يقودون «التوك توك» أو الميكروباص، دون رخصة قيادة.

إذا ما اعتبره «قوة بشرية»، لا يوظف لخدمة الإنسانية ولإقامة دولة قوية كما يحدث فى الصين مثلاً (وسوف أعود إليها لاحقاً)، إنهم «عالة» على المجتمع، نحو ١٨ مليون ونصف المليون أمى جاهل معناه قنبلة موقوتة وخنجر مسموم فى قلب الوطن.. أفترض أن مليوناً فقط التحقوا بالتنظيمات الإرهابية، ومليوناً آخرين احترفوا الجريمة، ومليوناً أدمنوا المخدرات وتحرشوا بالنساء.. إلخ ملف الجرائم المترتبة على الجهل.. وتصور شكل المجتمع بعد ذلك!

أما عمالة الأطفال في مصر فهي إجرام في وجه الإنسانية، واغتيا لروح الطفولة، ورغم حظر الدستور تشغيل الطفل قبل تجاوزه سن إتمام التعليم الأساسي، ومناشدة المجلس القومي للأمومة والطفولة للمواطنين الإبلاغ عن حالات الأطفال العاملين عبر رقم «١٦٠٠٠»، وهو خط نجدة الطفل، فإن تلك الظاهرة تتفاقم لتدمر جيل المستقبل.

وكشف المسح القومي لعمل الأطفال في مصر، الذي أجراه الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء والبرنامج الدولي للقضاء على عمل الأطفال، عن وجود ١.٦ مليون طفل أعمارهم بين ١٢ و١٧ سنة يعملون، ويمثلون ٩.٣% من الأطفال «طفل من ١٠ مدفوعين إلى العمل.

هؤلاء «جريمة تسير على قدمين» لا تكتمل إلا بظاهرة «أطفال الشوارع». وكل هذه المأسى المفجعة نتيجة كثرة الإنجاب «والتباهي بالنسل»، ثم ترك نسلهم ضعيفاً هزلياً عاجزاً عن السير في الحياة.

وقد لفت انتباهي في لقاء الدكتور «مصطفى مدبولي»، رئيس الوزراء، مع رؤساء تحرير الصحف المصرية وبعض الكتاب، قوله: «إن مشكلة الانفجار السكاني ارتبطت في السبعينات والثمانينات بالدين، وتفاقت بشكل كبير، وأثرت على جميع مناحي الحياة»، مؤكداً أن «الحكومة قررت عدم ضم الطفل الثالث لدعم بطاقات التموين في الموالي الجدد الذين لم ينضموا، كما سيجري منع ضم أكثر من ٣ أطفال في برنامج تكافل وكرامة».

وأوضح رئيس الوزراء: أن مسئولين أوروبيين قالوا له أكثر من مرة «كيف تعيشون مع مثل هذه الزيادة، خصوصاً أن هناك نحو ٢,٤ مليون شخص يضافون إلى تعداد سكان مصر كل عام، وهو ما يساوي تعداد دول؟».

وأنا أقول لمعالى دولة الرئيس إنه لا يكفي حرمان الطفل الثالث «في الأسر الحديثة طبعاً» من بطاقات التموين أو معاش «تكافل وكرامة». يمكن أيضاً منع الطفل الثالث من العمل بالدولة، أو الحصول على شقق مدعمة من الحكومة. فبدون إجراءات رادعة لن يتوقف الانفجار السكاني.

لقد زرت الصين مرتين، ولأنها دولة موحدة متعددة القوميات وتتكون من ٥٦ قومية، معظمها لا تنتمي للديانات الإبراهيمية، كان قرارها بحرمان الطفل الثاني من كل ما تقدمه الدول «الشيوعية» لمواطنيها، مع السماح بالإجهاض إذا أثبت السونار أن الجنين لا يلبي رغبة الوالدين «ذكر أو أنثى»، وهذا مؤثر قطعاً في شرعنا. لكن إذا قررت تقييم «القوة البشرية» فيها.. فقد كنا نخرج من الفندق في الثامنة صباحاً، فنرى الملايين على الطرق، في طريقهم إلى المزارع والمصانع.. ثم يختفي البشر من الشوارع، لا تراههم إلا في طريق العودة على دراجاتهم.

ولأن «العمالة» في الصين رخيصة، قررت كبريات الشركات العالمية التي تقدم سلعاً «سينيه»، أن تقيم مصانعها هناك مع وضع «مراقب جودة». وتم تعديل جزئي في الدستور الحديدي للسماح بذلك.

لقد حولت الصين «القوى البشرية» إلى قبيلة نووية، واستطاعت أن تغزو العالم بمنتجاتها، وأن تغرق الأسواق الأمريكية بها.. لكننا غارقون في الجهل والامية وظاهرة «الواد بلية». ونتوهم أننا أمة مسلمة تصلح لأن يتباهى بها نبيها.. ارحمونا من تأويلاتكم المحرفة للسنة المحمدية، وانظروا إلى الإنجاب نظرة إنسانية بلا عنصرية أو تمييز.